

سعيد ناشيد: هل هناك إسلام معتدل؟

«الإيمان تعبيرٌ عفويٌّ قد يستدعي الخروج عن النص» بهذه الجملة الاستهلالية يبدأ الباحث المغربي كتابه الإشكالي «الحدائق والقرآن» (دار التنوير). عمله شديد الأهمية في أفكاره وتاريخ صدره، ولا نبالغ لو قلنا إنه يسهم في زلزلة أساسات الأيديولوجيا الإسلامية بأكملها

يزنّ الحاج

لا تزال مسألة البحث عن «إسلام معتدل» تشكل أهمية كبيرة رغم العدد الهائل من المقالات والأبحاث والكتب التي تحدّثت عن هذه «الظاهرة». بدأ الأمر بداية «صرعة» توازي الصرعة الأخرى المستحدثة، أي عودة الإسلام المتطرّف بصيغته القاعدية. وبدا انتشرت «إسلامات كثيرة» لم يعد التصنيف القاطع بين معتدل ومتطرّف يكفي لتعريفها، بل بتنا بحاجة إلى تعريفات جديدة لا تلبث أن تحل محل التعريفات القديمة، فتعود الحاجة مرة أخرى إلى تعريفات أكثر جِدّة.

اللافت في الأمر أنّ جميع تلك الإسلامات، على اختلافها، تحمل لواء الإصلاح الديني، سواء كان إسلام أنظمة أم إسلاماً سياسياً أم إسلاماً عقائدياً؛ بل حتّى الحركات المتطرّفة حملت راية «إصلاح» أخرى بمعنى العودة إلى الجذور، وتصحيح مسار الإسلام الحالي. في الواقع، لم تكن الفوارق كبيرة بين تلك الإسلامات على تباينها الظاهري؛ فجميعها تؤمن بـ «الإسلام ديناً ودولة»، ويبقى الفارق الضئيل هو في مدى تأويلها لهذه الآية أو تلك، أو هذا الحديث أو ذاك. انتهت حرب التعريفات أخيراً، لتبدأ حرب التأويلات التي يمكن بتدقيق بسيط اكتشاف تهاوتها. من هذه النقطة بالذات، ينطلق كتاب المغربي سعيد ناشيد «الحدائق والقرآن» (دار التنوير)، ليؤكد أنّ مسألة اختلاف التأويلات لا معنى لها إذا لم نعلم بتحديد القرآن، بمعنى نزع القدسية الإلهية عنه، بحيث يعود - كما هو فعلاً - نصّاً بشرياً. يحتاج ناشيد أنّ القرآن يعتبر عن ثلاث قضايا لا يجوز الخلط بينها: «أولاً، قضية الوحي الإلهي؛ ثانياً، قضية القرآن

الانتقاص يكون عند «تقديس النص» بدل «تقديس الله»

المحمّدي؛ ثالثاً، قضية «المصحف العثماني». ويعتمد في طرح هذه المحاجّة على الكاتبين الإيرانيين عبد الكريم سروش ومحمد مجتهد شبستري، علاوة على محاضرات لأحمد القبانجي. قبل الدخول في تفاصيل الكتاب، لا بد من ملاحظة أنّ ناشيد يؤكد منذ البداية على إيمانه. يبدو الأمر هنا خطوة استباقية ضدّ تكفير قادم، من جهة، وتأكيداً على أنّ حرفاته في القرآن تنطلق من داخل البوتقة الإيمانية الإسلامية، من دون أن نجد أن هذا الأمر نقطة قوة بالضرورة، إلا إذا ربطناها مع الفصول الأخيرة من الكتاب التي تبدو أشبه ببيانات تبشيرية للدخول في «الإسلام الجديد الحدائثي»، بحيث يبدو الفارق واضحاً بين الفصول الأولى الأخيرة الأقرب إلى مفهوم الدعوة الجدد، مع وجوب تأكيد الفارق بين ناشيد وبينهم بالطبع.

يشير ناشيد إلى أننا لا نعرف القرآن إلا من خلال تمظهره الأخير، أي المصحف العثماني. أما التمظهران الأولان، فهما خارج نطاق التداول لأنّ الأول (الإلهي) كان وحياً خاصاً من الربّ إلى نبيه. أما الثاني، فهو التأويل النبوي لهذا الوحي، وقد طرأت عليه تغييرات كثيرة وتحويرات شتى بحيث بات من المستحيل تقريباً استعادته بتمامه، إلا ضمن دراسة سوسيوثقافية للنسب وعصره وبيئته، بحيث يمكن القول إنّنا «لم نعد نملك من كلام الله إلا كلام رسول الله على وجه التحديد». ويشدّد المؤلف على أنّ أي تناول للقرآن يجب أن ينطلق من كونه خطاباً تعبدياً فقط، من دون أن يكون كتاباً في اللغة أو الاقتصاد أو السياسة أو حتى الأخلاق. أما تمظهره النبوي، فينبغي تناوله

سعيد ناشيد

الحدائق والقرآن



بدل «تقديس الله»، بحيث يصل إلى درجة «عبادة النص»، كما يفعل السلفيون والمتطرّفون، بل وحتّى المعتدلون بهذه الدرجة أو تلك. عملية الانتقال من الشاهي إلى الكتابي تتضمّن بالضرورة وجود هفوات ونسيان أشار إليها القرآن أحياناً، والأحاديث النبوية أحياناً أخرى، علاوة على ما وصلنا من تاريخ الصحابة وكتبه الوحي ومراحل جمع القرآن، ووضعه ضمن مصحف عثمانّي موخّذ استلزم حرق وإتلاف جميع المصاحف المخالفة.

بالرغم من هجوم ناشيد على دعاة الإسلام المعتدل واعتبارهم أقرب إلى الضبابية في تناولهم للمسائل الشائكة، على عكس وضوح الخطاب المتشدّد بسبب استناده إلى «نص مقدّس»، إلا أنّه يدعو على نحو غير مباشر إلى تكريس اعتدال من نوع آخر، حين يؤكد أنّ «المسلم العادي لا يميل إلى خطاب التشدّد... وفي المقابل ينتظر الناس سماع خطاب معتدل وواضح أيضاً. وهذا غير متوافر في الواقع أو ليس بعد». وتقوم دعوة ناشيد إلى هذا الاعتدال الواضح عبر التأكيد (كما أشار محمد شحرور من قبل) على أنّ الإسلام لا يقتصر على الشريعة المحمّدية بل يمتد على طول الأديان التوحيدية ابتداء من إبراهيم واختتاماً بمحمّد. الفارق بين شحرور وناشيد أنّ ناشيد ينسف مفهوم التأويل اللغوي الذي هو أساس مشروع شحرور، ليكرّس بدلاً منه صيغة شبه-صوفية للدين تكون فيها الأولوية للروح الشعريّة التي أقصاها الإسلاميون من الحقلين الديني واللاهوتي «فاتحين الباب على مصراعيه أمام الكهنة وتجار الأوهام». وعلى أيّ حال، بصرف النظر عن مدى توافق أفكارنا مع أطروحات الكتاب، يبقى العمل شديد الأهمية في أفكاره وتاريخ صدره، بحيث لا نبالغ لو قلنا إنه يسهم في زلزلة أساسات الأيديولوجيا الإسلامية بأكملها، على اختلاف درجات تطرّفها أو اعتدالها، خاصة لو انطلقنا من الجملة الافتتاحية في الكتاب «الإيمان تعبيرٌ عفويٌّ قد يستدعي الخروج عن النص».

الكوبرنيكية علمياً، وما قبل الدولة، وحتى ما قبل القواعد النحوية. ولذا نجد الإحالات الخاطئة علمياً في الحديث عن ثبات الأرض وحركة الشمس، وسياسياً في الحديث عن الشورى والسلطة الذكورية، ولغوياً في الأساليب النحوية القديمة قبل تكريس القواعد، «ما يفسر أوجه الاختلال والأخطاء في النص المدوّن».

ويؤكد ناشيد أن هذه المقاربة للقرآن لا تعني بأيّ حال من الأحوال الانتقاص من الذات الإلهية، فالقرآن «خطابٌ نسبيّ أمام إطلاقية الذات الإلهية، ومحدود أمام لامحدودية العوالم الممكنة». بل إنّ الانتقاص يكون فعلياً عند «تقديس النص»

كذلك من داخل العصر النبوي ووعيه وثقافته. القرآن «خطاب يعكس في مضمونه مفاهيم وقيم العالم القديم، عالم ما قبل نشوء الدولة، وما قبل نشوء العلم، وما قبل قيم المواطنة»، ولا يصلح بالتالي «دستوراً» لعالمنا الحديث كما يقول لنا الإسلاميون على اختلاف أطيافهم. وقد كان هذا القرآن مرآة لذلك العصر القديم، فكان من الطبيعي أن يتناغم مع شخصيّة النبي من حيث كونه يتيماً، وتاجراً، ومقاتلاً. وسنجد هذه الإشارات واضحة في القرآن الذي وُجد بلغة عصره ذلك، وموجّهاً إلى إنسان ذلك العصر: إنسان الثورة الوسيط بمفاهيمه ما قبل الثورة

لمحات



مارون الراعي

يحاول مارون الراعي رسم خريطة طريق للأوبرا العربية في «الأوبرا العربية» (الدار العربية للعلوم ناشرون). ينشغل الكاتب والمبايسترو اللبناني بالتوثيق لبدايات الأوبرا في العالم العربي ومستقبلها وأفقها. يأخذنا إلى تجارب أوبرالية عربية، ويستعرض أساليب مختلفة. أما المؤلف فيحتوي أيضاً على التقرير العلمي والرسمي الأول حول منهج الغناء الأوبرالي باللغة العربية.



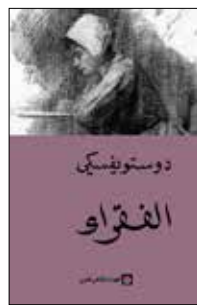
ملحم شكر

من خلال مقدمة وأربعة أقسام وملحق، يتخذ ملحم شكر من الزندقة في القرن الثاني للهجرة محوراً لكتابه «الزندقة في دار الإسلام في القرن الثاني للهجرة» (منشورات الجمل). يحدد شكر الحقبة التاريخية من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية، ويتوقف عند نشوء النظام الديني السياسي، ويستعرض فرق التيار الروحي البابلي التي عرفت بالزندقة، فيما يدرس في القسم الثاني الجدل بين التوحيد والمعارضين.



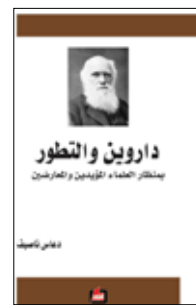
باسمة العنزي

«قطط انستغرام» (دار العين المصرية) هو عنوان الرواية الجديدة لباسمة العنزي. داخل عوالم أربعة أشخاص قادمين من خلفيات وبيئات مختلفة، تنسج الروائية الكويتية أحداث قصتها. الأبطال هم أحلام ابنة الطبقة الوسطى، وجامد الذي دخل السجن في قضية شيكات من دون رصيد، ورجل الأعمال منصور صاحب السمعة السيئة، وأخيراً الفتاة التي تدير صفحة على انستغرام تنتقد فيها المجتمع بالاستناد إلى صور لقطها «سبايس».



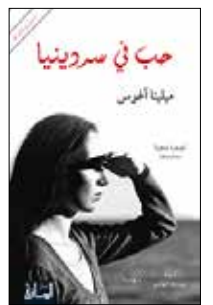
دوستوفسكي

أصدر «المركز الثقافي العربي» أخيراً الرواية الأولى لفيودور دوستوفسكي بعنوان «الفقراء» (1845). لتتنضم إلى «الأخوة كارامازوف»، و«الجريمة والعقاب» وسلسلة أعمال الكاتب الروسي التي تصدرها الدار حالياً. في «الفقراء» التي دفعت به إلى واجهة المشهد الأدبي الروسي، يدخل دوستوفسكي إلى عمق المجتمع الروسي في القرن التاسع عشر عبر مراسلات بين موظف مسنّ وفتاة فقيرة.



دعاس ناصيف

يعرض دعاس ناصيف سيرة داروين في كتابه الجديد «داروين والتطور». بمنظار العلماء المؤيدين والمعارضين (الفارابي). يتوقف المؤلف أيضاً عند التحديات التي تعرّض لها العالم البريطاني من مجتمعه بسبب أفكاره، ويبين آداب النهج العلمي ثم يشرح باستفاضة مفاهيم التطور من داروين إلى يومنا هذا. ومن ناحية أخرى يتابع الكتاب داروين من منظار المفكرين المؤيدين والمعارضين له وأفكاره.



ميلينا أغوس

بعدما ترجمت إلى ثلاثين لغة، انتقلت «حب في سردينيا» لميلينا أغوس إلى المكتبة العربية أخيراً، عن «دار الساقى». في روايتها، تحكي الكاتبة الإيطالية الحائزة «جائزة سانتا مارينيللا» عن الحرب والحب والشعر والموسيقى عبر شخصيتين تلتقيان في بهو فندق في غاليري. قبل أن تضع المرأة بين يدي الرجل صاحب الرجل الخشبية دفترها الأسود الذي كانت تخفيه خشية أن تُتهم بالجنون.